مكتبة مكنزي .. توقع الشيوعيين في شباكها

محمد حسن الجابري

مِن معالم بناية (بيت لنج) مكتبة مكنزي المطلة على شارع الرشيد في ركنها الجنوبي الشرقي حيث كان المستشارون البريطانيون قد وافقوا عام ١٩٢٠ على فتح مكتبة مكنزي يشرف عليها درنون مكنزي وابن عمه كنت مكنزي.

كانت من كتبها مؤلفات ماركسية باللغة الانكليزية تستوردها المكتبة من دار النشر الماركسية- البريطانية ومن بينها كتاب رأس المال لكارل ماركس وصحافة الحزب الشيوعي البريطاني وقد جذبت هذه المكتبة عدداً ممن اعتبروا انفسهم (ماركسيين) مدافعين عن الطبقة العاملة في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين فاعتبروا صاحبي المكتبة (اشتراكيين) يصطفان على حركة التحرير الوطني لشعوب الشرق..!

وهكذا انطلت الحيلة على شيوعيي ذلك الزمان في العراق..فالمخابرات البريطانية التي كانت تجمع معلومات عن مراسلي الكومنترون في العراق وايران واقطار المنطقة الاخرى وترصد حركات الشيوعيين الحقيقيين فيها تلاحقهم اينما ذهبوا ، من هذا المنطلق استغلت المخابرات البريطانية (مكتبة مكنزي) في بغداد وبريق كتبها الماركسية ما جعل الشيوعيين لقمة سائغة يقعون في شباك المخابرات البريطانية وكذلك لتراقب العقائديين منهم والتعرف عليهم لتصطادهم ولتمرير مخططها لتمزيق الوحدة الوطنية العراقية ولمعاداة عروبة العراق والمنطقة، وللعلم، فأن بناية (بيت لنج) هي من املاك الشركة البريطانية الكبيرة، اي (شركة ستيفن لنج) للملاحة النهرية.اما اسرة (لنج) فهي اسرة انكليزية اصبح لها اسم مشهور في المياه العراقية حيث خدم الملازم (لنج) في العراق سنين عديدة فاضاع خلالها ماله في كارثة الباخرة (دجلة) التي تحطمت نتيجة اعصار عاصف في شهر مايس من عام ١٨٢٦م واخيراً مات مريضاً.وفي عام ١٨٤٢م سمح للمستر لنج بتشغيل باخرتين بين بغداد والبصرة ما فتح المجال للحكومة البريطانية بعد عام ١٨٤٢م باجراء امور المسح للانهار العراقية بعد ان اصبحت (شركة لنج) التي اصبح لها اسم معروف في العراق وبمساعي (اسرة لنج) من التمكن في عام ١٨٦١م من نيل (فرمان) يبيح لها اجراء باخرة (مدينة لندن) وقد اصدر هذا الفرمان برغم معارضة الوالي نامق باشا القوية لذلك، غير ان الباشا لم يكن له من الحول والطول ما يمنح له هذا النوع من الاستيلاء على العراق بواسطة المراكب الحديثة. التي اخذت تجلبها (شركة لنج) خاصة وهي تفوق مراكبه بكثير.

وثائق

حينما اعلن عبد الاله الوصاية

شهاب احمد القيسي

حينَ اكمل الملك فيصل الثاني الثامنة عشرة من عمره في ٢/مايس من عام ١٩٥٣ واعلن ذلك اليوم عيدا رسميا لتولي الملك الجديد سلطاته الدستورية وانتهاء فترة الوصاية حسب القانون، اعلن الامير عبد الاله (خال الملك فيصل الثاني) انتهاء حكم الوصاية من دار الاذاعة العراقية يوم ١/ مايس ١٩٥٣، جاء فيه:

ايها الشعب العراقي النبيل، أبدأ بالحمد والشكر لله تعالى على حلول هذا اليوم السعيد، وتسلم جلالة الملك فيصل الامانة مني، واني لسعيد جدا ان اعلن في هذا اليوم ابتهاجي ومشاركتي اياه افراحه، ولي وطيد الامل والثقة بالله تعالى ان اتحمل مسؤولية العرش بعد فجيعتنا الاليمة بفقدان الملك غازي طيب الله ثراه، واقول اخي لانه كان اخا حميما، وقد كنا نحن احفاد الحسين نعيش في كنف جد كريم وعظيم كان يرعانا جميعا بعطفه وحبه وحنانه، ذلك هو الملك حسين (رضوان الله عليه). اما اباؤنا الذين كنا نراهم فقد انصرف كل واحد منهم للعمل حسبما تقتضيه قيادة النهضة العربية التي كانت آنذاك تغلي وتفور، وكانت حياتنا في ذلك الجو العائلي حياة اخوة صادقة ومحبة خالصة ثم تشاء المقادير ان تجمعنا في حين في عاصمة فيصل، وهنا من بغداد رحلت انا وهو معاً نستظل برعاية والدينا وترعرعنا في كنفهما اخوين شقيقين حتى اذا تولى جلالته شؤون البلاد.. وتبسمت له ولنا الحياة،، فجعنا بوفاة اخي العزيز غازي على حين غرة، فكانت مصيبتي بخسارته جسيمة وحزني عليه عظيما، فكان علي ان اقوم بواجبين خطيرين هما.. السهر على رعاية حبيبنا الملك فيصل وتهيئته لهذا اليوم.. والقيام بممارسة سلطات الملك الدستورية بحكم الوصاية.

والآن.. ايها الشعب الكريم، ولله الحمد اني لفي غبطة وراحة ضمير لاعتقادي بأني قد قمت بواجبي ضمن امكانياتي الدستورية بحرص واخلاص لخدمة المصلحة العامة وسلامة المملكة وتوطيد اركان العرش، واني لفخور ولله الحمد بان جلالته هو الان مهيأ للقيام بكل جدارة وخلق كريم، ومما لاشك فيه ان لشقيقتي (عالية) رحمها الله النصيب الاوفر في هذا الاعداد، وان ما يتمتع به جلالة الملك من صفات ومؤهلات حميدة هي ثمرة تلك الجهود، ولا يسعني وانا اخاطبكم الا ان ابعث لكم جميعا بمزيد شكري على كل ما لمسته منكم من عون ومؤازرة واخلاص خلال مدة وصايتي مشيرا بجهود رجالات البلد وقادة الراي فيه شاكرا للجميع هذه الروح راجيا الخير والفلاح، وبعد ان انهيت مهمتي اضع خدماتي تحت تصرف مليكي العظيم مستعدا للقيام باي خدمة تقتضيها مصلحة الشعب ووطني العزيز، وختاما أسأله تعالى ان يوفق جلالته في العمل على ما فيه خير لهذه الامة، وان يجعل عهده اياما حافلة بالعزة والسعادة انه سميع ومجيب والله الموفق.. والسلام عليكم.

عبدالاله

وبعد خطبة الامير عبد الاله بانتهاء وصايته ،القى جلالة الملك فيصل الثاني في اجتماع البرلمان بمجلسيه النواب والاعيان، وبعد تحليف جلالته اليمين القانونية صباح الثاني من آيار ١٩٥٣ كلمة قيمة جاء فيها:

حضرات الاعيان والنواب الكرام..

احييكم وأحيي الشعب العراقي الكريم بكم، بحول الله وقدرته سأمارس منذ اليوم واجباتي الدستورية، وذلك بمؤازرة المسؤولين في ادارة المملكة ومعاضدة شعبي العزيز وممثليه ملكا دستوريا حريصا على الاسس الديمقراطية داعيا الله عزوجل ان يعاضدني ويأخذ بيدي لخدمة هذا الشعب العزيز والبلد الغالي، وللترفيه عنه بكل الوسائل الممكنة لدي، كما انني سأحصر كل جهودي لخدمة وطننا الغالي، ولتأمين أسمى غاياته واني اتضرع اليه تعالى ان يوثقني لما فيه الخير. ولي عظيم الثقة بأنكم ستشدون أزري بتوحيد صفوفكم وجهودكم الصادقة لنتعاون جميعا لتحقيق اهدافنا القومية..

وقبل ان اختم كلمتي هذه لابد لي من ان اشكر خالي العزيز على ادائه واجب الوصاية على العرش بكل حرص واخلاص، وعلى عنايته الفائقة من اعدادي لهذا اليوم كأب شفوق، ولابد لي ايضا من ان اشير في هذا اليوم الى ذكرى امي الحنون رحمها الله، امي الفاضلة التي حرصت على تربيتي واحتضنتني طوال ايام حياتها القصيرة بكل حنان وتضحية ونكران الذات وغذتني بالفضيلة وحب الخير للجميع وهيأتني لكم بخدمة شعبي على احسن ما يرام.

والله ولي التوفيق.. والسلام عليكم.

فيصل.

الوصي عبد الاله

اسماء عراقية

د . قاسم جبر

جامع القمرية

بفتْح اوله، والمشهور بضمه وسكون الميم، وكلا الضبطين صحيح. وهو ثاني اقدم جامعين باقيين في بغداد، اذ شرع ببنائه الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥.٦٢٢هـ/ ١١٨٠.١٢٢٥م) واتمه المستنصر بالله سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، والحقت به دار للقرآن واخرى للحديث، ثم جرت عليه . بعد ذلك . تعميرات عدة، منها سنة ١٢٦٨م على يد علاء الدين الجويني صاحب ديوان العراق، وسنة ١٦٤٤م على يد والي بغداد (دلي حسين باشا)، وسنة ١٧٦٥م بأمر عائشة خانم زوجة عمر باشا والي بغداد، ثم سنة ١٨١٥م على يد الوالي سعيد باشا. وما زال هذا الجامع قائما عامرا وموقعه على شاطئ دجلة الغربي، قرب ثانوية الكرخ للبنين مقابلا لمنشآت السراي (ديوان الحكومة القديم) على الجهة الاخرى من نهر دجلة.

خضر الياس

اسم المسجد ومشرعة ومحلة في الجانب الغربي من بغداد، على شواطئ دجلة، كانت تعرف في العصر العباسي بمحلة (الرملة)، وهي اليوم في الكرخ الحديث، تعلوها محلة التكارتة شمالا، ومحلة الست نفيسة وسوق حمادة غربا، وسوق الجديد جنوبا، وتقابلها من الجهة الشرقية لدجلة منشآت وزارة الدفاع (القلعة قديما) في باب المعظم..

جامع الباشا

من جوامع بغداد القديمة، ينسب الى الوزير حسن باشا والي بغداد (١٧٠٤.١٧٢٢م) الذي قام بتجديده وتعميره سنة ١٧٢٢م. وعرف ايضا بجامع (جديد حسن باشا) تمييزا عن جامع الوزير الذي كان قد شيده الوزير حسن باشا في بداية القرن السابع عشر للميلاد. وكان هذا الجامع يعرف قبل ذلك باسم الجامع السليماني، نسبة الى السلطان سليمان القانوني الذي عمره عند دخوله بغداد سنة ١٥٣٤م، وليس من المؤكد تأريخه قبل ذلك، وانه كان من المرجح ان اصله هو مسجد سوق السلطان الذي شيده الخليفة الناصر العباسي في اواخر القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد).

وكانت لجامع الباشا هذا اهمية خاصة بين جوامع بغداد ومساجدها، نظرا لموقعه المقابل للسراي (ديوان الحكومة القديم). فهو مصلى كبرائها وامرائها وباشواتها طوال العهد العثماني، وشهد . لذلك . تعميرات مختلفة قام بها ولاة عديدون، منهم ابراهيم باشا سنة ١٦٨٢م ونامق باشا الصغير سنة ١٩٠٢م وغيرهما، وقد عمرته وزارة الاوقاف العراقية سنة ١٩٧٣م تعميرا شاملا..

نهر دجلة:

يُقال ان معنى دجلة بالفارسية (السهم)، وانه سمي بهذا الاسم لسرعة جريه.. واسم النهر بالعبرانية (حديقيل) ومعنى الكلمة (السهم) أيضاً .. (انظر سفر التكوين ٢ ص١٤)، حيث يسمى بالنهر العظيم.

ان اسمه اليوم (دجلة) ويلتقي بالفرات على بعد (٩٠) ميلاً من البحر، ويسمى النهر المتكون من التقاء النهرين (شط العرب)، ويبلغ طول نهر دجلة ١١٤٦ ميلاً.

علاوي الحلة:

العلاوي جمع علوة، وهي مناثر الحبوب والخضر مما يباع جملة، نسبت الى باب الحلة من أبواب السور الغربي من بغداد، وهو الذي يفضي الى الطريق المؤدية الى الحلة، وقدشيّد هذا السور لأول مرة بأمر والي بغداد حسن باشا في أوائل القرن الثاني عشر، وكان يحيط به خندق متسع عميق، استعمل ترابه في بناء السور نفسه، وفي القرن التاسع عشر للميلاد شيد والي بغداد سليمان باشا الكبير سوراً جديداً للجانب الغربي بالآجر والجص، وجعل له أربعة أبواب، أحدها هو باب الحلة المذكور، وكانت (العلاوي) عنده. وعلاوي الحلة اليوم مرآب كبير لسيارات النقل الى محافظات الوسط والجنوب والشمال، وتقع في غربي بغداد، وفي مكان مهم من العاصمة بغداد.

باب المعظم: هو الباب الشمالي لبغداد القديمة، كان أحد أبواب السور الذي بدأ بانشائه الخليفة العباسي المستظهر سنة ٤٨٨ هجرية/ ١٠٩٥ ميلادية وأتمه المسترشد سنة ٥١٧ هجرية/ ١١٢٣ ميلادية وجدده الناصر سنة ٦١٨ هجرية/ ١٢٢١ ميلادية وسمي بباب السلطان نسبة الى السلاطين السلجوقية، الذين اقاموا دار سلطنتهم في شماله، ثم سمي في العصور التالية باسم باب المعظم أو باب الامام الأعظم لأنه يفضي الى الشارع الذي يؤدي الى مشهد الامام أبي حنيفة.. واشار اليه بالاسم الأخير منذ القرن السابع عشر، سياح عديدون، أمثال (تافرنييه) سنة ١٦٣٢ وسنة ١٦٥٢م و(نيبور) سنة ١٧٦٦، وكان يقع بين قاعة الشعب وجامع الازبك على يمين الداخل الى بغداد،

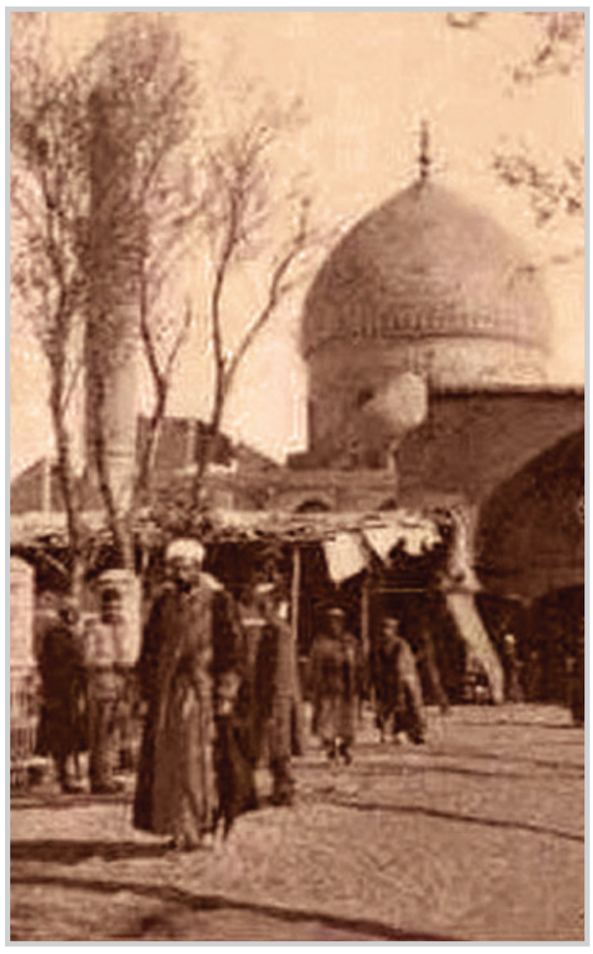

التشكيل الوزاري الذي دفع عبد المحسن السعدون الى الانتحار

عبد المحسن السعدون

شكل عبد المحسن السعدون وزارته الرابعة في ١٩ أيلول ١٩٢٩، وجاءت على الوجه التالي :

١.عبد المحسن السعدون.رئيساً للوزراء ، ووزيراً للخارجية.
٢.ناجي السويدي.وزيراً للداخلية .
٣.ناجي شوكت.وزيراً للعدلية.
٤.نوري السعيد .وزيراً للدفاع .
٥.ياسين الهاشمي.وزيراً للمالية .
٦.عبد الحسين الجلبي.وزيراً للمعارف .
٧.عبد العزيز القصاب.وزيراً للري والزراعة .
٨ . محمد أمين زكي . وزيراً للأشغال والمواصلات .

أبدى السعدون أول ملاحظاته عن الوضع السياسي حيث أشار فيها إلى أن بريطانيا قد وافقت على العمل لإدخال العراق في عصبة الأمم دون قيد أو شرط عام ١٩٣٢ ورغبة بريطانيا في عقد معاهدة جديدة لتنظيم العلاقة بين البلدين ، على الأسس نفسها التي أقترُح للاتفاق المصري البريطاني ، وأشار إلى أن هذا الموقف يعتبر تراجعاً من بريطانيا عن مواقفها السابقة المتصلبة تجاه المطالب العراقية المشروعة في التحرر والاستقلال الوطني ، والسيادة الحقيقية .

وضع السعدون في مقدمة قائمة المهام لوزارته الأمور التالية :

١ . العمل على عقد معاهدة جديدة ، وتطبيقها لتسريع دخول العراق في عصبة الأمم،قبل عام ١٩٣٢،وإزالة أي صبغة للاحتلال البريطاني في صلب المعاهدة الجديدة.

٢ . إنهاء مسؤولية بريطانيا الدفاعية عن العراق، وإناطتها بالجيش العراقي ، وتطبيق قانون التجنيد الإلزامي، لبناء جيش كبير، وقوي،يستطيع القيام بالمهام المطلوبة منه .

٣ . تقليص عدد الضباط البريطانيين في الجيش العراقي،وتقليص عدد المفتشين البريطانيين،والموظفين الذين لا تستدعي الحاجة إلى بقائهم واستبدالهم بموظفين عراقيين

٤. إعادة النظر في التعريفة الجمركية ، وتشجيع الصناعات الوطنية ، وصمودها أمام المنافسة الأجنبية.

بالنظر لوفاة المندوب السامي [جلبرت كلايتي] المفاجئة بالسكتة القلبية قررت الحكومة البريطانية تعيين السير [فرانسيس هيمفريز] ليحل محله مندوباً سامياً لها في العراق ، في ٧ تشرين الأول ١٩٢٩ ، ووصل بالفعل إلى بغداد لتسلم مهام منصبه في ١٠ كانون الأول من السنة نفسها ، وأعلنت الحكومة البريطانية في الوقت نفسه عن عزمها على ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ .

قررت حكومة السعدون الشروع بإجراء المفاوضات لوضع معاهدة جديدة تلبي طموح الشعب العراقي، وألّفت وفدها المفاوض من السادة وزراء الدفاع ، والمالية والداخلية ، وسارع السعدون إلى طرح برنامج حكومته أمام مجلس النواب في أول لقاء له مع المجلس بعد تأليف وزارته، لكن المعارضة هاجمته بشدة واتهمته بالتراجع عن مواقفه السابقة التي أصر فيها على المطالب العراقية المشروعة فيما يخص المعاهدة وتعديل الاتفاقيتين ، العسكرية والمالية.

وجاء ردّ السعدون على نواب المعارضة بالدرجة نفسها من العنف عندما أنتقد النواب قبوله لتصريح الحكومة البريطانية السالف الذكر، وعما سيحصل إذا تغيرت الحكومة العمالية، وتراجعت بريطانيا عن التصريح، فقد قال السعدون:

○إذا ما حصل ذلك، فإني اعتقد أن نيل الاستقلال تابع إلى جرأة الأمة، فالأمة التي تريد الاستقلال يجب أن تتهيأ له ، ولا يكون ذلك بالكلام ، والأقوال الفارغة فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية ، وهذا ما أحببت أن أقوله□

ثانياً : انتحار رئيس الوزراء، عبد المحسن السعدون :

كان لكلام عبد المحسن السعدون في مجلس النواب دوي كبير لدى الجانب المعارض والجانب الموالي لبريطانيا على حد سواء ، ففي الوقت الذي ثمن المعارضون ما قاله السعدون من أن الاستقلال يؤخذ بالقوة، ومطالبته الشعب بالتهيؤ له والتضحية في سبيله ، فإن الموالين لبريطانيا قد أغضبهم حديثه ، وسعى البعض منهم للوشاية به، لدى وكيل المندوب السامي البريطاني [الميجر يانك] الذي سارع إلى معاتبة السعدون وتقريعه بكلمات خشنة وعنيفة أثارت في نفسه الحزن العميق لدرجة لم يعد يتحملها ، ودفعته إلى الانتحار في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩ ، حيث أطلق على نفسه الرصاص تاركا رفاقه ، والملك فيصل ، ووكيل المندوب السامي في حالة من الذهول الشديد ، والقلق العميق مما يمكن أن يحدثه انتحاره من رد فعل لدى الشعب .وقد ترك وصيته لأبنه [علي] شرح فيها أسباب أقدامه على الانتحار، وأوصاه بوالدته و أخوته الصغار. وهذه نص الوصية :○ولدي وعيني، ومستندي علي: اعفُ عني لما ارتكبته من جناية لأني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذةً ،وذوقاً ،وشرفاً . الأمة تنتظر خدمة ، والإنكليز لا يوافقون وليس لي ظهير. العراقيون طلاب استقلال ضعفاء وعاجزون ، وبعيدون كثيراً عن الاستقلال، وهم عاجزون عن تقدير أرباب الناموس أمثالي . يظنون أني خائن للوطن، وعبد للإنكليز!! ما أعظم هذه المصيبة !! أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطني قد كابدت أنواع الإحتقارات ، وتحملت المذلات مضضاً في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي مرفهين.

ولدي نصيحتي الأخيرة لك هي :

١ . أن ترحم أخوتك الصغار ،الذين سيبقون يتامى ،وتحترم والدتك ،وتخلص لوطنك .

٢ . أن تخلص للملك فيصل وذريته إخلاصاً مطلقاً .

أعفُ عني يا ولدي على التوقيعَ

عبد المحسن السعدون

سارعت الحكومة إلى إذاعة نبأ الفاجعة ، وجرى تشييع مهيب للفقيد ، إلى المقبرة الكيلانية في باب الشيخ ، وسار خلف جنازته جميع الشخصيات السياسية وجمع غفير جداً من أبناء الشعب وهم يعبرون عن الأسى والحزن العميق لانتحاره ، وانهالت برقيات التعازي من شتى أنحاء العالم .

أما وكيل المندوب السامي ، فقد أحتج على الحكومة بشدة ، بسبب سماحها بنشر وصية السعدون ، معتبراً ذلك العمل تحريضاً على بريطانيا وسياستها تجاه العراق وتثير هيجاناً لدى الرأي العام العراقي ، لكن الملك فيصل ، والحكومة حاولوا بكل خنوع تبرير نشر الوصية إرضاءً لوكيل المندوب السامي البريطاني.

نوري السعيد

ياسين الهاشمي